المبحث السابع
جماعات الإسلام السياسى
بعد أزمة الخليج الأخيرة

نختتم هذه الدراسة بسؤال عن تأثير أزمة الخليج على مستقبل جماعات الإسلام السياسى فى الوطن العربى ، لقد أوجدت هذه الأزمة التى بدأت بالغزو العراقى للكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ وانتهت بهزيمة العراق على أيدى قوات التحالف الدولى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، انقسامًا حادًا فى صفوف كافة القوى السياسية العربية، ولكن أشد هذه الانقسامات كانت بين أعضاء جماعات الإسلام السياسى فى الوطن العربى.

لقد تبنت الغالبية العظمى من أعضاء هذه الجماعات الأطروحات الفكرية ذات الطابع الإسلامى التى قدمها الخطاب السياسى العراقى إبان الأزمة !وقد ، زاد تأييد أبناء هذه الجماعات لصدام حسين، بعد التدخل الأمريكى السافر فى الأزمة، وفرض العقوبات الاقتصادية على العراق، وبدء غارات الطيران الأمريكى لتدمير العراق، ثم سلوك الإذلال الذى تتبعه الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون بعد وقف إطلاق النار مع العراق.

وتأتى المعالجة الإعلامية الغربية لنتائج هذه الأزمة ، ووصفها بأنها هزيمة للعرب جميعًا ، وبأنها قد أذلت العرب ، وولدت لديهم إحساسا بالدونية

(١) محمد سبيلا، خطاب الأزمة وصراع التأويلات، الوحدة الرباط، المجلس القومى للثقافة العربية، العدد ٧٨/٧٧، فبراير/ مارس ١٩٩١ ، ص ٨٠: ص ٨٤ .

والهوان[1] لتضيف عاملاً جديدًا من عوامل ازدياد درجة التأييد العفوى للعراق من جانب أبناء هذه الجماعات.

ونقدم شهادة أحد الكتاب ذوى الاتجاه الإسلامى فى هذا الشأن إذ يقول:

«إننى أقرر لوجه الله ومن أجل التوثيق التاريخى أن معظم شباب الحركة الإسلامية فى الدول العربية ، والذين التقيت بهم كانوا قد تبنوا موقف العراق من الأزمة ، وإن ذلك وصل فى تقديرى، وفى عمليات قياس الرأى التى قمت بها بمفردى وصل إلى ٨٠٪ من إجمالى شباب الحركة الإسلامية ، مع اختلاف اتجاهات هؤلاء الشباب الحركية واختلاف جنسياتهم»[2].

والسؤال الآن ماهو تفسير ذلك الموقف لأبناء هذه الجماعات ، على الرغم من موقف النظم العربية المضاد ، خاصة دول الخليج والسعودية ، وهى دول لها اتصال ببعض هذه الجماعات ، وكثيرًا ما قدمت لهذه الجماعات العون المادى والمعنوى والسياسى ؟

تفسير ذلك من وجهة نظر الباحث يرجع إلى أن الخطاب السياسى العراقى الإسلامى إبان الأزمة قد مس أوتارًا حساسة لدى أعضاء هذه الجماعات، خاصة فى بعض الجوانب التى تمس أوضاعهم المعيشية الصعبة ، كما أن النموذج الصدامى فى القيادة السياسية يتفق إلى حد كبير، ونموذج القيادة السياسية الذى تربى عليه هؤلاء الشباب ، فى إطار الهياكل التنظيمية لجماعاتهم ، ومن ثم فإمكانية القبول به واردة ، بل ومنطقية استنادًا إلى الإطار الفكرى لهذه الجماعات .

---

(١) انظر فى ذلك: عبد القادر الزغل، حرب الخليج والبحث عن المسافة الملائمة، المستقبل العربى، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٤٧ ، مايو ١٩٩١ ، ص ٢٥: ص ٣١ الطاهر لبيب ، مثقف الأشهر السبعة المستقبل العربى العدد السابع ص ٣٢ : ص ٣٩.

(٢) عصام دراز، لماذا اختلفنا، الإسلاميون وحرب الخليج، القاهرة، دار المنار، ١٩٩١ ص ١٠ .

بل إن النظرة المجردة لصدام حسين من جانب شباب هذه الجماعات ومقارنته بالقيادة السياسية فى غالبية البلدان العربية ، توحى بالتشابه والتماثل إلى حد بعيد، فلماذا لا يتجهون لتأييده وهو يعلن عن تصديه للعدو التقليدى للأمة والإسلام ، فى حين يتحالف الأخرون مع هذا العدو ؟! تلك هى الصورة الإدراكية التى شكلت موقف أبناء جماعات الإسلام السياسى تجاه الأزمة من وجهة نظرنا .

والسؤال الآن ماهو أثر هذا الموقف من الأزمة على مستقبل هذه الجماعات، وما هو أثر هذه الأزمة بصفة عامة عليهم ؟

لاشك أن أثر هذا الموقف المؤيد للعراق خاصة بعد هزيمته سيكون سلبيًّا إلى حد بعيد على قوة هذه الجماعات ، التى حرمت من كافة وسائل الدعم المادى والمعنوى والسياسى التى كانت تحصل عليها من بعض دول الخليج ، وهى وسائل كانت تساعدها على الحركة والنشاط الفعال فى الحياة السياسية العربية .

أما عن أثر الأزمة بصفة عامة على جماعات الإسلام السياسى ، فيمكن أن نشير بصدده إلى ما يلى :

أولا : أوجدت الأزمة انقسامًا واضحًا بين النخبة التى أيدت نسبة كبيرة منها الكويت ، والسعودية ، وبقية قوى التحالف ، والقاعدة الشعبية العريضة لهذه الجماعات بالإضافة إلى بعض عناصر نخبتها ، فهل سيؤدى هذا إلى حدوث تغيير فى النخبة السياسية لهذه الجماعات ، بحيث تحل عناصر أكثر راديكالية من العناصر القديمة ؟!

ثانيا : أدت هذه الأزمة إلى تعميق أزمة الشرعية لدى الأنظمة العربية ، فلقد أكدت الأزمة مدى ضعف هذه الأنظمة ، وعدم قدرتها على الوفاء بأحد أهم وظائفها وهى الحفاظ على الأمن القومى، وفى ظل أزمة الشرعية هذه التى تعانى منها الأنظمة العربية ، فإن انخفاض درجة تسامحها تجاه المعارضة السياسية أمر وارد ، وبصفة خاصة تجاه قوى الإسلام السياسى

التى فقدت عنصرًا هامًا من عناصر قوتها ، والمتمثل فى الدعم المالى والسياسى الذى كانت تقدمه لها دول الخليج ، ومن ثم فإمكانية زيادة حدة عنف الدولة فى مواجهة قوى الإسلام السياسى فى المرحلة القادمة واردة ، بل إنها ظهرت بالفعل فى تونس، حيث أعلن الرئيس التونسى عن اكتشاف محاولة انقلاب فى مايو ١٩٩١ ، بدأت على أثرها حملة اعتقال واسعة النطاق لرموز وأعضاء الجماعات الإسلامية التونسية[١].

ثالثا : أدت الأزمة إلى ضرورة اعتماد هذه الجماعات على نفسها فى تدبير الموارد اللازمة لنشاطها ، ومن ثم فقد لجأت بعض هذه الجماعات إلى القيام ببعض اعمال النهب والسطو ، كما حدث فى مصر، حيث تعددت حوادث سرقة محلات المجوهرات والذهب ، إن هذا من شأنه الإضرار بصورة هذه الجماعات فى المجتمع ، ويفقدها الكثير من رصيدها لدى المواطن العادى .

رابعا : أدت أزمة الخليج إلى ازدياد تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأمنية فى الوطن العربى ، الأمر الذى يعنى بالنسبة لشباب هذه الجماعات عدم وجود أية فرصة لتحسين أوضاعهم المعيشية ، مما قد يؤدى إلى استمرارهم فى تبنى خيار العنف السياسى .

---

(١) تقرير إذاعة الـ B.B.C لندن من تونس، ١٥/٥/٩١ ، أشار المعلق إلى أن هذا الإعلان يأتى تمهيدًا لبدء حملة فى مواجهة الأصوليين فى تونس.